

تفسير ابن كثير

أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ^ج ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا
فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ^ق وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ

وهذا المثال مثال لذوي الجهل المركب . فأما أصحاب الجهل البسيط ، وهم الطماطم

الأغشام المقلدون لأئمة الكفر ، الصم البكم الذين لا يعقلون ، فمثلهم كما قال تعالى : (

أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ) : قال قتادة : وهو العميق . (يغشاه موج من فوقه موج من

فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها) أي : لم يقارب

رؤيتها من شدة الظلام ، فهذا مثل قلب الكافر الجاهل البسيط المقلد الذي لا يدري أين

يذهب ، ولا [هو] يعرف حال من يقوده ، بل كما يقال في المثل للجاهل : أين تذهب؟

قال : معهم . قيل : فإلى أين يذهبون؟ قال : لا أدري . وقال العوفي ، عن ابن عباس ،

رضي الله عنهما : (يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب) يعني بذلك : الغشاوة

التي على القلب والسمع والبصر ، وهي كقوله : (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم

وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم) [البقرة : 7] ، وكقوله : (أفأريت من اتخذ

إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) [الجاثية : 23] . وقال أبي بن كعب في قوله : (ظلمات بعضها فوق بعض) فهو يتقلب في خمسة من الظلم : كلامه ظلمة ، وعمله ظلمة ، ومدخله ظلمة ، ومخرجه ظلمة ، ومصيره يوم القيامة إلى الظلمات ، إلى النار . وقال الربيع بن أنس ، والسدي نحو ذلك أيضا . وقوله : (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) أي : من لم يهده الله فهو هالك جاهل حائر بائر كافر ، كما قال تعالى : (من يضل الله فلا هادي له) [الأعراف : 186] وهذا [في] مقابلة ما قال في مثل المؤمنين : (يهدي الله لنوره من يشاء) فنسأل الله العظيم أن يجعل في قلوبنا نورا ، وعن أيماننا نورا ، وعن شمائلنا نورا ، وأن يعظم لنا نورا .